مع غزّة

لستم وحدكم، لكن من يؤيدونكم محاصَرين ومحتلّين

علاء فرغلي

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء. «العمل الإبداعي الوحيد الذي يمكنه مواجهة هذه الإبادة هو فعل المقاومة»، يقول الروائي المصري في حديثه لـ«العربي الجديد»

علاء فرغلي

القاهرة ـ **العربي الجديد**

بطاقة

روائي وصحافي مصري من مواليد عام 1977. يعمل محرّرا أدبيًا في عدد من المؤسسات ودور النشر المصرية والعربية، ومؤلّف أفلام تسجيلية ووثائقية. صدر له في الرواية: «خير الله الجيل» (2016)، التي حصلت على المركز الأول بـ«جائزة ساويرس» للرواية، و«وادي الدوم» (2019) التي حصلت على «جائزة نجيب محفوظ» الممنوحة من «المجلس الأعلى للثقافة» عن أفضل رواية مصرية، و«ممرّ بهلر» التي صدرت عام 2022.

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

يشغلني سؤال: كيف ساكون بعد انتهاء العدوان؟ بل كيف سيكون العالم نفسه؟ لا أقصد الانشغال بالتفاصيل اليومية للمأساة، بل أقصد طريقة النظر إلى الحياة والتعاطي معها. هذه المنظومة من القيم والمبادئ والمفاهيم التي ظلّت راسخة في وجدان البشر، إلى أيّ حدّ ستبقى قائمة بعد سقوط الجميع في هذه المحنة الأخلاقية المعقّدة. بأي منطق سنرفع أصواتنا منادين بالحقّ والعدل والحرية والفداء والشجاعة، خاصة نحن أبناء الثقافة العربية والإسلامية، الذين تشكّل «النُّصرة» والإغاثة، ورفع الظلم، والانتصار للأخوّة، ومقاومة الغاصب جزءاً أصيلاً من تكويننا العقائدي والثقافي. كيف ستستقيم أنساقنا الفكرية وتؤدّي مهمّتها. ثم نحن الكتّاب والمثقّفون والفنّانون كيف سنواصل رسالتنا بعد أن صار علينا أن نحمل عارنا ونمضي.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

مع أوّل بناية سكنيّة قُصفت فوق رؤوس ساكنيها، ومع أول مدرسة ومخيّم ومشفى، صرتُ أعيش ماساتي كاملة، لم يعد من شيء يملك وجداني سوى تفاصيل القصف والمقاومة، في نومي ويقظتي، لم أعد في كامل إدراكي، المأساة تصنع فقّاعة من الوهم، تمتصّك وتجعلك أكثر حساسية لكلّ المثيرات، مهما كانت تافهة، تصبح دموعك قريبة، ومشاعرك هشّة، وردود فعلك كثيراً ما تتجاوز المنطق. أنام بينما شاشة التلفزيون تعرض الأخبار بصوت خفيض، ثم أستيقظ فزعاً على صوت تنبيهات الأخبار العاجلة. باختصار، لم تعُد هناك حياة يومية ونشطة إبداعية، حتى بشكل رمزي، لم أجرؤ على كتابة مقال نقدي عن رواية أو مسلسل درامي أو أشارك في تكريم أو حفل توقيع أو ندوة مثلاً بينما هناك تراجيديا تدور على مدار الساعة، وبحر دم يسفح.

■ إلى أي درجة تشعر أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

العمل الإبداعي الوحيد الذي يمكنه مواجهة هذه الإبادة هو فعل المقاومة، النثر البليغ والشعر واللوحة العبقرية والمعزوفة المعبّرة كلها تتجلّى في تلك العبوة التي يحملها مقاوم ويلصقها بجسد دبّابة مدرّعة، مقاوم يمكث في حفرة تحت قصف الصواريخ والزوارق والطائرات الحربية لشهور، ينتظر اللحظة التي يلتحم فيها بجسد الدبّابة، هذه ساعته، أما صور الإبداع الأخرى، فدورها يأتي تالياً - حين تتوقّف آلة القتل - لتحاول مجابهة الأفاكين الذين يحكمون العالم، بشرط: أن يقدّم هذا الإبداع أشخاص ذوو فطرة سليمة، لم تشوّهها الطموحات الذاتية والرغبات المؤقّتة، والأفكار الشاذّة النابعة من حسابات الربح والخسارة.

■ لو قيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

ساختار أن أعمل حطّاباً في بلد جبلي، أو نجّاراً، أو مزارعاً لا أجاوز حدود حقلي وبئري ودجاجاتي وبهائمي، وربما أنجب أطفالاً، ولن أتعلّم أكثر من القراءة والكتابة الساذجة، القراءة التي تمكّنني من قراءة الترجمات المصاحبة لأفلام البطولة، لكني لن أتابع الأخبار، ولن أخالط المثقّفين والفنّانين، ساتابع العالَم بقلب طفل، وعقل ساذج لا يُعيد ترتيب الأشياء في منظومة من صنيعته. عقل يصدق أن هذا العالم طيّب وأن الخير يُمكن أن يسود.

> عبثاً يحاول الاحتلال محْوَ ما صنعته المقاومة في 7 أكتوبر
>
> يشغلني سؤال: كيف ساكون وسيكون العالَم بعد انتهاء العدوان

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

هُما بالأحرى حلمان، أحدهما فوريّ والآخر مؤجّل، الأول، أن يخترع أحدهم رصاصة بقدرة الصاروخ، ولتكُن رصاصة نووية مثلاً، يذخّر بها المقاومون أسلحتهم، وأن يخترع آخر بندقية «ليزر» قادرة على اصطياد الطائرات الحربية، ساعتها سينتهي العدوان للأبد، وسيلتزم الصهيوني بالقوانين الدولية طالما كان هُناك ما يردعه. أما الثاني، فأتمنّى أن تندلع ثورة في بلد ما، يقودها رجل ما، يستطيع أن يقنع دول العالم المسلوبة بالانسحاب من الأمم المتحدة، وتشكيل هيئة أخرى موازية ليس لأي من أعضائها حقّ النقض، دول لديها اقتصادها الحرّ تستطيع الدفاع عن نفسها وفقاً لقيم العدل والمساواة.

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

ناجي العلي، سأقول له: «تمنّيتُ لو كنتَ بيننا، ترى كيف ستُجيب مَن يصمك بالإرهاب، ومَن سيتّهمك بموالاة منظّمات العنف، كيف ستُرسم الأن قادة منظمة التحرير الذين يدينون المقاومة، والحاكم العربي الذي يحاصرها، ومَن يزحف وراء التطبيع، أودّ لو أساله: هل كنت ستشارك في جوائز التطبيع وتكيّف فنّك بما يتلاءم مع سياساتها، كيف كنت ستعيش زمناً تعارض فيه دولٌ عظمى قراراً يقول: «هدنة إنسانية لإدخال الغذاء؟».

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

الحياة هي الذكريات، ومن ثم فهي قصيرة، قصيرة جداً، هي بالضبط تلك الدقائق التي يستغرقها الوجدان في اجترار الذكرى، وأنتم عشتم الحياة في جوهرها، واختبرتم تجارب الإنسانية، كلّ الصعاب تمرّ وعزاؤكم أنكم لم تلقوا السلاح وترفعوا الراية. إنكم أخر حصون الرفض والثورة، ومن الجيّد أن خلق الله تعالى حدّاً للألم، مهما كان عمق الجرح ومقدار الفقد فهناك حدّ للألم وحدّ للبكاء؛ من يفقد عزيزاً كمن يفقد أعزّاء، ومن يخسر إصبعاً كمن يخسر ذراعاً. وأنتم لستم وحدكم، لكن من يؤيدونكم محاصَرين ومحتلّين.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

ما يصنعونه بنا منذ السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، هو محاولة محو ما فعلته المقاومة في نفوسنا، يحاولون إعادة تركيعنا، إذلالنا، إقناعنا بأننا عجزة وبلا مقدرة ولا إرادة، وأنّ ما حدث لا يُمكن تكراره، يحاولون أن ننسى ذلك اليوم بانتصاراته، لكن الحقيقة - حقيقة العربي وجوهره - هي تلك التي ظهرت في السابع من أكتوبر. نحو نصف قرن من محاولات تزييف الوعي وتنمية قيم الاستهلاك، والجهل والتفاهة والرقابة الذاتية الفجّة، وطمس كلّ ما هو حقيقي وجادّ وشراء المثقّف وصناعة الأشباه. أقول للإنسان العربي، إن الجسد لم يمت بعد وهذا هو الدليل، إنما يحتاج إلى صدمة كهربائية حتى يسترد نبضه وتعوده الروح، وذات يوم سينقلب الجدار ليميز الضوء.

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي». ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

أنا أحبّ دارين، لكنّي لا أحبّ أن أقول لها شيئاً، بل لا أحب أن ترآني أو تسمع صوتي، وإذا قُدّر لي لقاؤها سأختبئ، الآن على الأقل، لا أعرف شعوري في المستقبل بعد انتهاء الكابوس، لكني الآن أحمل خجلي وامضغ شعوري بالذنب، ذنب أني أتنفّس الهواء الذي يتنفّسه القتلة.

أصدقاء فلسطين

كل شيء لا يزال هناك مثل صراخ بعيدٍ

لقد جرحوا لي صديقاً للتوّ

فانيسا فيلالدوني

هاوية

في صمتِ أغنّي
سرَّ الهاوية،
ضائعةً في أفق صحراءِ
من ألف هَرمٍ يسقطون في غياهب
النسيان،
من أحكام صادرةٍ على حَجَر
نُحِتت على رخام وهُدّمت في الأرض.
القطعُ المتناثرة للغزّ خشبي
ليست كافيةً لمحو الهاوية،
والسرّ يجري حيًّا في شرايين وهمٍ من
إسمنت،
إسمنتٌ ينهض عليه إعصار وهميٌّ لا
يترك اثراً
لجثّة لا تذوب،
كبحيرة تَغرقُ في جفاف الدمع
حافي القدمين على زجاج مكسور، يبحث
الإعصار عن شمس سحرتها العاصفة.

جرحوا لي صديقاً

قشعريرة تجتاح ذراعي اليسرى
تنزلق حتّى أصابعي وأفقدُ السيطرة.
لكن ابتسامتي تضيءُ اللحظة:
اعلمْ أنّ شيئاً جيداً سيحدث اليوم.

يمرُّ الوقت وتعود القشعريرة
في البداية لم أفهم الأمر،
لكنّ قلبي انخطف وعرفت:
لقد جرحوا لي صديقاً للتوّ.
تعود القشعريرة لي
تطاردني كلّ يوم
قلبي يطوف فرحاً:
أعرف أنّك تفكر فيّ.

انتظرْ إشارة ضائعةً

أنتظرُ إشارة ضائعةً في الأفق. نظراتي
تلامس حركة الريح، كلّ صوت يحمله
الهواء، يصير لحظةً أبعد تضيع في
المسافات. وأنا أستمر بالنظر إلى الفراغ.
أحياناً، أسأل نفسي ما فائدة الحياة،
وما نفع الدموع التي تذرفها العيون
رغم إرادتها؟
يقولون إنّ الدموع كمثل المطر تغسل
حزن الوجه عندما تنحدر على الخدود.
ربّما كان ذلك صحيحاً، فحين أنتظر أي
شيء يريد أن يظهر أمام عيني بصورة
الخيبة، ينهمر الحزن ثقيلاً على كياني،
يضغط على صدري ويمنعني من
التنفّس.
وفي هذه السنوات كلّها، لم أعرف أن
أذرف دمعةً واحدة.
ربما كان ذلك صحيحاً، ربّما ترك
الجفاف الحزن معلّقاً في الروح،
والآن أحتاج بعض الدموع كي يذوب
الحزنُ ويصير رماداً.

ضعفٌ في رأسي

أشعرُ أنني أطفو فوق البحر.
أشعر كيف تحملني الأمواج.
أشعر أنني لا أستطيع السيطرة
أشعر أنني أغرق في البحر.
أشعر أنّ الريح تدفعني
أشعر كيف تحملني إلى السماء
أشعر بسقوطي البطيء
أشعر أن الريح تجرجرني.
أشعر وكأنّ الريح تدفعني.
أشعر بنفسي أرتجف،
لكنني أحافظ على توازني
أشعر كيف تنزلق أفكاري في النهر.
أرتعش وأفقد التوازن.
أشعرُ ولا أشعرُ
أنني وسط صحراء،
أنني خارج هذا العالم
ولكني فيه إلى حدّ الغرق.
لقد ضعتُ في رأسي
ولا أعرف أين تركت هذه اللحظة
الحاضرة.

ما دام السؤال باقيا

الرأس مليء بالأسئلة
الكتفان لا تتخلّصان من التوتر،
حائرةٌ خفيفةٌ وناعمة في الوقت نفسه،
وضائعةٌ لا أجد ملاذاً.
الريح تهبّ، والعالم يختفي
ووحيدةً أنتهي بي الأمر في أرض مقفرة
لكن كل شيء لا يزال هناك،
مثل صراخ بعيدٍ.
أشعرُ بنسيمه وأسمع الأصوات.
وفيما تمتلئ الروح بالشكوك
كل شيء يبدو غير حقيقي
كأنّ كل شيء صار فراغاً
من أنا؟ ماذا أريد؟
وكيف يمكنني أن أطارد الأحلام؟
وعلى أيّ طريق أمضي؟
القلب يخفق، يُظهرُ أمارات حياةٍ،
لكنّه لا يجيبني عن أسئلتي.
القلبُ ضائع مثلي، وهو يعرف
رغم كثرة الخيارات التي تمرّ
أن لا شيء يشعره بالراحة.
الأسئلة في رأسي تقودني إلى الجنون
جزءٌ مني يضعها جانباً
يقول لي: «عيشي وانس الأسئلة كلّها»
لكن مهما حاولت ذلك، فإنّ قلبي لن
يفعل،
لأنني لا أستطيع أن أعيش ما دام
السؤال باقٍ:
من أنا؟

(ترجمة عن الإسبانية: جعفر العلوني)

فانيسا فيلالدوني

بطاقة

Vanessa Velandonie شاعرة وحقوقية مكسيكية من مواليد عام 1998. حاصلة على شهادة في القانون من «جامعة مونتيري للتكنولوجيا»، وماجستير في القانون الدولي لحقوق الإنسان من «جامعة إسيكس» ببريطانيا. تنشط في مجال حقوق الإنسان، مع اهتمام خاص بحقوق الإنسان الفلسطيني. القصائد المترجمة هنا من ديوانها الأوّل «جُثّة الكلمات» الصادر عام 2020.

متابعة

أسبوع مقاومة الاستعمار دور الجامعات البريطانية في دعم الإبادة

احتجاجات وأبحاث ومقاطعة

> يدعو المشاركون إلى سحب استثمارات الجامعات البريطانية من الشركات المصنّعة للأسلحة والتكنولوجيا التي تسبّب الإبادة الجماعية في غزّة

لندن ـ **العربي الجديد**

ضمن «أسبوع مقاومة الاستعمار والأبارتهايد» (IAW)، خرجت مسيراتٌ واعتصامات، يومي الخميس والجمعة الماضيَين، في عدد من الجامعات البريطانية، رفع خلالها الطلّبة شعاراتٍ تُطالب بإنهاء تواطؤ جامعاتهم مع الإبادة الجماعية التي يواصل الاحتلال الإسرائيلي ارتكابها في غزّة منذ أكثر من خمسة أشهر.

الفعالية التي أطلقتها حركة المقاطعة (BDS) سنة 2004 تستمر في هذا العام طوال آذار/ مارس الجاري، ولم تقتصر على الاحتجاجات، إذ يقدّم المشاركون فيها أبحاثهم وأوراقهم حول الدور الذي تلعبه الجامعات في بريطانيا، والغرب عموماً، في دعم حرب الإبادة أو الصمت عنها، بالإضافة إلى التزامهم بمواصلة مقاطعة كيان العدو.

ويدعو المحتجّون إلى إنهاء الشراكات البحثية والتجارية والمؤسسية مع «إسرائيل»، ما يعني بوضوح سحب كامل الاستثمارات للجامعات من الشركات المصنّعة للأسلحة، والتكنولوجيا التي تُسلّح الإبادة الجماعية التي تُرتكب في غزّة، والتي تصل إلى ملايين الجنيهات الإسترلينية بحسب تقديراتهم الموثّقة. تُشير الأوراق المُقدّمة من قبل الطلبة إلى أسماء شركات بعينها، مُرفقة بأدلّة وإثباتات على توزّطها في دعم الكيان المُحتلّ، ومنها بنوك «إتش إس بي سي» و«ستاندرد تشارترد» و«باركليز»، والأخير يُعدّ أحد الأهداف ذات الأولويّة الحالية لحركة المقاطعة في بريطانيا، من خلال الاستثمارات والقروض والخدمات المالية التي يقدّمها البنك للشركات التي تُزوّد «إسرائيل» بالأسلحة المُستخدَمة في قتل وقمع الشعب الفلسطيني.

تُشكّل هذه الاحتجاجات جزءاً من حملة «الفصل العنصري خارج الحرم الجامعي» التي تُنظّم أنشطتها على مدار العام، حيث تستمرّ الاعتراضات الموجّهة لاتحادات الطلبة بوقف التعامل مع «باركليز» وغيرها من الشركات الداعمة للإبادة الجماعية في غزة، كما انضمّ الطلبة إلى تحالُف واسع يضمّ حوالي 70 منظّمة مجتمع مدني من نقابات عمالية وجمعيات خيرية ومنظمات حقوقية لرفض مشروع قانون «مكافحة المقاطعة»، الذي تسعى الحكومة البريطانية إلى إقراره وينصّ على تغريم الهيئات العامة التي تبادر إلى مقاطعة «إسرائيل». وخلافاً للأعوام الماضية، لم يركّز «أسبوع مقاومة الاستعمار والأبارتهايد» في بريطانيا وعشرات البلدان حول العالم على رفع الوعي حول الاستعمار والفصل العنصري الإسرائيلي فقط، بحسب أهدافه المُعلنة منذ عشرين عاماً، بل اشتمل على حراكات شعبية لمساندة النضال الفلسطيني من أجل وقف الإبادة الجماعية في غزّة، وكسر الحصار عنها، في هذه اللحظة التاريخية الحاسمة، بحسب بيان حركة المقاطعة (BDS). وتحمل فعاليات هذ العام عنوان «مسيرة من أجل فلسطين: أوقفوا الإبادة الجماعية، أنهُوا الفصل العنصري»، التي منعتها جامعات بريطانيّة عديدة، منها «جامعة كوليدج» في لندن حيث ألغت سلسلة من الأنشطة المُناهضة لـ«إسرائيل» بداية الشهر الجاري، وكذلك فعلت «كلّية لندن الجامعية» بإلغائها فعالية مُماثلة رضوخاً لمطالبات جمعيات مؤيّدة للصهيونية.

يُذكر أن أسبوع «مقاومة الاستعمار والأبارتهايد» يمثّل «أداة لحشد الدعم الشعبي على المستوى العربي والعالمي للنضال الفلسطيني من أجل العدالة والحرية»، كما يشير الموقع الإلكتروني لـ«حركة المقاطعة» (BDS)، و«يوفّر فرصة للتشبيك وتقوية الروابط بين النضال التحرّري الوطني العربي - الفلسطيني والنضالات الأخرى ضد القمع والاضطهاد والعنصرية والتمييز».

من احتجاجات طلبة لندن من أجل قطع الصلة بين الجامعات وشركات السلاح التي تدعم العدوان (Getty)

فعاليات

من أجل نهاية الإبادة الجماعية في فلسطين عنوان المحاضرة التي يُلقيها الطبيب **نافذ زين عيسى**، عند الثامنة من مساء السابع والعشرين من آذار/ مارس الجاري، في إشبيلية. تتناول المحاضرة الوضع الصحي المأساوي الذي يمرّ به أطفال غزّة نتيجة العدوان الصهيوني، وضرورة وقف الإبادة الجماعية.

ابتداءً من السابع والعشرين من نيسان/ ابريل وحتى الاول من ايار/ مايو المُقبل، تنطلق فعاليات الدورة السادسة عشرة من مهرجان **قابس سينما فنّ**، الذي يقام في مدينة قابس (جنوب شرقي تونس العاصمة). تتمحوّر التظاهرة حول السينما الفلسطينية المعاصرة وتاريخها، وافلام المخرجين الاجانب الذين تبنّت اعمالهم قضية الانسان الفلسطيني ونضالات شعوب أُخرى ضد الاستعمار.

تستضيف «مكتبة الحلبي» بيروت، عند السادسة والنصف من مساء الثامن عشر من نيسان/ ابريل المُقبل، مناقشة رواية **نساء روحي** الصادرة عن «دار الآداب» بترجمة **مارك جمال**، للروائية التشيلية **إيزابيل الليندي** (الصورة). انطلاقاً من سيرتها الذاتية، تسرد الكاتبة سيرة نساء أُخريات أثّرن في حياتها وكتاباتها.

عند الثامنة من مساء اليوم السبت، ينظّم «متحف قطر الاولمبي والرياضي» جلسة سرد القصص التي يُقيمها شهريا، حيث ستُقرَا قصة **صغار بأحلام كبيرة: إيفون غولاغونغ** من سلسلة كتب **ماريا إيزابيل سانشيز فيغارا**. تُضيء القصة الحكاية الملهمة لبطلة التنس الاسترالية ورحلتها نحو النجاح و تأثيرها على الرياضة.